**بسم الله الرحمن الرحيم**

**المحاضرة الثانية قصيدة الشعر العمودية**

**تمهيد:**

قصيدة الشعر العمودية أنموذج إبداعي من بين نماذج عديدة ظهرت في العصر المعاصر، حيث شهدت فيه ازدهارا، وعليه، كيف تمأسست القصيدة العمودية المعاصرة في ظل المعطى الدلالي والجمالي؟

**قصيدة الشعر العمودية:**

عود على بدء، ولتبقى القصيدة العمودية أنموذج شعري معاصر، افتكت لها مكانة وسط قوالب شعرية متنوعة، ومختلفة عنها، وذلك بعد الحرب العالمية الثانية، أطلق عليها مصطلح القصيدة العمودية، ومن هنا يتبلور السؤال الجوهري الذي نمتاحه من عند بنيس حين قال: " فهل يمكن للشعر، بعد هذا، أن يدافع، مجددا، عن طفولته؟ وكيف له أن يستقصي حداثة أخرى؟ وبأي عناد تبدأ الشكوك؟ "1. أما عن الحداثة فنسجل تمظهراتها في قصيدة الشعر العمودية على مستوى الثيمات، ومنها الالتزام بقضايا العصر، ويعد هذا نتيجة "لاحتكاك الأديب بمشكلات الحياة التي يعيشها وإدراكه لخطورة الدور الذي يقوم به إزاء هذه المشكلات"2 ، ومما نسجله على ظاهرة الالتزام عند الشعراء المعاصرين هو التزامهم بقضايا الوطن، الأمة، والفرد، وبهذا تحول جسد القصيدة المعاصرة إلى فضاء لتنافح من خلاله القصيدة عن مسائل عديدة وعلى رأس القضايا جميعها نذكر القضية الفلسطينية، حيث سميح القاسم يقول:

لاطم الريح بالجناحين واصعد يا حبيب الحرية المتمرّدْ

أيهذا النسر الذي راعه العيشُ بوادِ كابٍ، ذليلٍ، مقيّدْ

فتلوّى في بؤرة الوحل والشوك بشوقٍ إلى السنى متوقّدْ

وأضاءت أحلامُه برؤى موسى، وعيسى، وأمنيات محمدْ

وأضاءَ الحنينَ للذروة الشماءِ، بين النجوم، أعلى وأبعدْ

فنَزاه للعلاء، ميناؤه الشمروخ، في قمة الإباء الموطّدْ

يا هتافا، لوقعه زُلزِلَ الكونغو الحزين المعذبُ المستعبَدْ

أغفلته عصابةٌ ساقت الشعب عبيدًا لأجنبيّ مسوّد

نسرَ إفريقيا العظيمَ نداءُ الشمسِ دوّى على الوجود وأرعدْ

فاستجبتَ النداءَ، لبيكِ أمي، غدا في أفق البطولات موعدْ

وشددتَ الجناح، في القلبِ نبضٌ لهبيٌ، وأدمعٌ تتجلّدْ

بعد عهد من الظلامِ، طويلٍ، في سماء العبيد أشرقت فرقدْ

فاحملِ المشعل العظيم ومزّقْ ما أراد الغزاةُ ليلًا مُخلّدْ!3

وإلى جانب ما سيق، يمكننا التوسع في اهتمام القصيدة العمودية بالثورة الجزائرية سواء تم ذلك مع شعراء الثورة الجزائرية أنفسهم، أو شعراء الأمة العربية قاطبة والمناصرين لهذه الثورة المباركة والملهمة، فهذا مفدي زكريا من الجزائر له قصيدة يشيد فيها بليلة أول نوفمبر حيث يقول:

دعا التاريخ ليلك فاستجابا نوفمبر هل وفيت لنا النصاب

وهل سمع المجيب نداء شعب فكانت ليلة القدر الجوابا

تبارك ليلك الميمون نجما وجل جلاله هتك الحجابا

زكت وثباته عن ألف شهر قضاها فيك يلتحف السرابا

تجلى ضاحك القسمات تحكي كواكبه قنابله لهابا 4

علق عليها عبد الله الركيبي قائلا: " وبات أول نوفمبر يوما خالدا في تاريخ الجزائر، وباتت ليلة نوفمبر ليلة من أخلد الليالي في نفوس الجزائريين، إنها ليلة القدر الكبرى كما سماها الشاعر مفدي زكريا. وكان من الطبيعي أن يتحدث شعراؤنا عن هذه الليلة، وينوهوا بأول نوفمبر رمز الثورة وبداية الانفجار"5.

وأما من خارج الجزائر فإننا نذكر الشاعر سليمان العيسى المتغني بالثورة الجزائرية، وله فيها نص موسوم بـــ: " ملحمة الجزائر"، حيث يقول فيها الشاعر:

روعةُ الجرح فوق ما يحملُ اللفظ ، ويقوى عليه إعصارُ شاعرْ

أأغنّي هديرَها ، والسماواتُ صلاةٌ لجرحها ، ومجامرْ ؟

أأناجي ثوارَها ، ودويُّ النار أبياتهم ، وعصفُ المخاطرْ ؟

بين جنبيَّ عبقةٌ من ثراها ونداءٌ – انّى تَلفّتّ – صاهر

ما عساني أقول ؟ والشاعرُ الرشاشُ ، والمدفع الخطيبُ الهادر

والضحايا الممزّقون ، وشعبٌ صامدٌ كلإله يَلوي المقادرْ

فوق شعري ، وفوق مُعجِزة الألحان هذا الذي تخطُّ الجزائر

يا بلادي ، يا قصةَ الألم الجبار لم يَحْنِ رأسه للمجازرْ

ما عساني أقول ؟ والنارُ لم تلفح جبيني هناك ، والثأر دائر

ودويّ الرشاش لم يخترقْ سمعي ، ويسكبْ ، في جانحيَّ المشاعر

لم أذق نشوةَ الكمين يدوي فاذا السفح للصوص مقابرْ

لم أعصِّبْ جرحي ، وكفّي على النار ، وعيناي في العدوّ الغادرْ

ألف عذرٍ ، يا ساحة المجد ، يا أرضي التي لم أضمّها ، يا جزائر

ألف عذرٍ ، إذا غمستُ جناحي من بعيدٍ بماحقاتِ الزماجرْ

بيديكِ المصيرُ ، فاقتلعي الليلَ ، وصوغيه دافقَ النور ، باهرْ

لك في الشرق جانحٌ عربيٌ يتمطّى عن معجزاتِ البشائر6

استردت القصيدة العمودية المعاصرة طفولة الشعر فيها من المرجعية التراثية، فهي لم تعرف القطيعة مع نتاجات العصور العربية القديمة وحتى نتاجات العصر الحديث، بقدر ما سجلت انبثاقتها من عباءة الأنموذج التراثي على مستوى بنائية الصورة الشعرية والبنية اللغوية – وذلك في الأغلب الأعم- وأخيرا البنية الموسيقية، بحيث تبقى هذه الأخيرة أهم ميزة للقصيدة العمودية إذ بواسطتها تمايزت عن باقي قوالب القصائد الشعرية الأخرى والتي ظهرت متزامنة معها في العصر المعاصر، ومع وقفة تفصيلية لطبيعة البنية الموسيقية للقصيدة العمودية المعاصرة نقول بأنها rقد بنيت أساسا على نظام البيت المبني على الشطرين الأول منهما ويطلق عليه سمية الصدر، والثاني منهما ويطلق عليه سمية العجز. تتأسس القصيدة العمودية بحسب نظام البيت على الموسيقى الخارجية والموسيقى الداخلية، حيث يتم التعويل على الروي الذي تلتزمه القصيدة من أول بيت إلى آخر بيت من القصيدة، فضلا عن القافية الثابتة هي الأخرى من أول بيت إلى آخر بيت. يضاف إلى ما سيق الأبحر الخليلية الست عشرة حيث تنظم القصيدة على بحر واحد منها فقط، فضلا عن مجموع القيم الصوتية المنتشرة على جسد القصيدة، والجناس، والتصريع،،..إلخ. إن هذه العناصر مجتمعة عولت عليها قصيدة الشعر العمودية المعاصرة مشكلة البنية الموسيقية؛ وهي تمثل الميزان بالنسبة للأذن الموسيقية العربية التي بها تتقبل النغم وتستسيغه7.